المجلة العربية للعلوم الانسانية ـ **العدد الرابع ـ المجلد الأول ١٩٨١** ص ص (١١٩-١٥٦)

اليهود والصّهيونية في المغرب العَربي

عَبد المالك التميمي

قسم التاريخ ـ جامعة الكويت

ملخص

يمتد الوجود اليهودي في المغرب العربي الى القرن الثالث ق.م. عندما سقطت اورشليم وطرد اليهود من فلسطين، فهاجروا الى المغرب العربي وأوروبا. وتلت تلك الفترة هجرات في فترات تاريخية، في عهد الرومان، وبعد الفتح الاسلامي، وبعد سقوط الاندلس وطرد العرب منها، وفي العهد الاستعماري الغربي الذي بدأ منذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر واستمر طيلة النصف الاول من القرن العشرين.

انه في العهد العثماني السابق للفترة الاستعمارية قد اتيحت لليهود فرصة الامن والنشاط الاقتصادي مما أتاح لهم المجال في النشاط السياسي للمنطقة خاصة وان ليبيا كانت مرشحة لان تكون وطنا قوميا لليهود مع بدء الحركة الصهيونية العالمية لنشاطها منذ بداية القرن العشرين. لقد كان دور اليهود في المغرب العربي في الفترة الاستعمارية مؤيدا للوجود الاستعماري، وعملت الادارة الاستعمارية على كسب ولائهم الى جانبها مما فسح المجال امامهم لممارسة النشاط الديني والاقتصادي وأدى بهم الى التعاون مع المستوطنين وقبول فكرة التجنيس بالجنسية الفرنسية التي كانت فرنسا تهدف من ورائها إلى تحقيق فكرة الادماج، وهذا الوضع أتاح للمنظمات الصهيونية العالمية فرصة تكوين فروعها وممارسة نشاطها في المنطقة والتركيز على فكرة الهجرة الى فلسطين. لقد كان للطائفة

اليهودية هناك وضع اجتماعي خاص بهم ولم يندمجوا بالمجتمع العربي رغم التسامح الذي أبداه العرب نحوهم. اما تكوينهم الاجتماعي فقد كان دينيا وبرجوازيا اضافة الى التقسيم التقليدي لديهم اليهود القدامى والمهاجرون الجدد. لقد كان لليهود في المغرب العربي معابدهم ومدارسهم ومناطق سكنية خاصة بهم.

اما بالنسبة لاوضاعهم الاقتصادية فقد نشطوا في مجال التجارة، وكان للطبقة البورجوازية اليهودية علاقات مع الشركات والمؤسسات وبيوت المال الاوروبية.

وأخيرا، فان النشاط الصهيوني لليهود في هذه المنطقة قد بدأ مبكرا مع بدء الحركة الصهيونية العالمية، وتركز على تشجيع الهجرة والتبشير بأرض الميعاد في فلسطين، فقامت في بلدان المغرب العربي منظمات صهيونية وقفت موقفا سلبيا من كفاح الحركة الوطنية من اجل الاستقلال، وكان نشاطها رافدا مستمرا في تهجير اليهود من المنطقة الى فلسطين.

الوجود اليهودي في المغرب العربي:

لقد بدأت هجرة اليهود الى المغرب العربي منذ القرن الثالث قبل الميلاد عندما سقطت أورشليم (بيت المقدس) وطردوا من فلسطين. وكانت وجهتهم بلاد المغرب العربي ونزلوا تونس لوجود الفينيقيين فيها بحكم الصلات الجنسية واللغوية التي كانت تربط بين اليهود والفينيقيين★.

ثم تلت ذلك هجرات في عهد الرومان الى المغرب الاقصى وعمل هؤلاء على نشر اليهودية بين قبائل البربر وتمكنوا من ادخال بعض البربر الى الدين اليهودي. كذلك هاجرت جماعات يهودية أخرى الى المنطقة من مصر وبرقة (سعودي، ١٩٦٧ : ٥٩٧)[١] ودوافع الهجرة اليهودية في الفترة القديمة كانت سهولة الهجرة بحرا الى المغرب العربي لوجود العنصر السامي المتمثل في الفينيقيين الذين

★ يذكر بعض الكتاب بأن الهجرات الاولى لليهود إلى المغرب العربي وصلت مع الفينيقيين الذين قدموا من الشام وسكنوا تونس.

عاملوهم معاملة حسنة بالاضافة الى خيرات المنطقة وموقعها الهام على البحر المتوسط والمحيط الاطلسي.

أما الهجرة اليهودية الثانية الى منطقة المغرب العربي فقد حدثت بعد الفتح العربي الاسلامي لهذه المنطقة، فقد جاءت مجموعات مهاجرة منهم من شبه الجزيرة العربية مع القبائل العربية المهاجرة وأخرى من مصر، واتخذوا من المدن الساحلية مقرا لهم كما انتشر بعضهم في المناطق الداخلية.

ثم جاءت هجرات جديدة بعد سقوط الاندلس واستمرت هذه الهجرات الى المنطقة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر عندما أقدم الملوك الاسبان الكاثوليك على طرد العرب ومعهم اليهود.

وقم تم اجلاء اليهود بالقوة لأنهم بتخصصهم بالتجارة التي تشكل عصب حياتهم الرئيسي ومجال نشاطهم الاقتصادي الهام قد شكلوا عقبة أمام نمو الطبقة البورجوازية الاسبانية اضافة الى العوامل الدينية والسياسية التي كانت وراء اجبارهم على الرحيل، ومما يؤكد أمر نشاطهم التجاري انهم سكنوا المناطق الساحلية من المغرب العربي والتي كانت تمثل جسرا لنقل التجارة من والى الدول الغربية عبر المتوسط والمحيط الاطلسي، حيث ساهم مركزهم هذا في انعاش أوضاعهم الاقتصادية من جهة وفي اعطائهم وضعا اجتماعيا مميزا أقرب الى التعاون والتحالف مع الغرب فيما بعد.

وقد يتساءل البعض عن سر هجرة اليهود مع العرب بعد سقوط الأندلس الى المغرب العربي رغم اختلاف الدين والعادات والتقاليد. في الحقيقة ان اليهود قد رأوا في المعاملة الحسنة أثناء وجودهم في اسبانيا عاملا مشجعا للرحيل معهم الى هذه المنطقة وهذا يرجع أساسا الى الاسلام ودعوته الى معاملة أهل الكتاب بالحسنى وهناك عوامل أخرى لهذه الهجرة قرب المنطقة من اسبانيا، وقوانين الامبراطورية العثمانية حول حماية حقوق الجاليات الأجنبية، كما ان خيرات المنطقة الاقتصادية وأهمية موقعها من الدوافع أيضا لتلك الهجرة، ويذكر الامير محمد بن عبد القادر الجزائري بأن اليهود قد دخلوا المغرب بعدما أجبرتهم اسبانيا

والبرتغال على الرحيل من مملكتيهما فقصد نحو مائة ألف نسمة المغرب الاقصى وخمسون ألفا بقية بلاد المغرب العربي، وهذا ما يفسر كثرة عددهم في المغرب الاقصى حتى اليوم (عبده وقاسميه، ١٩٧١ : ٢١٩)[٢] حيث قرب المسافة وشعورهم بالامن فيها أما الهجرات الأخيرة لليهود الى المغرب العربي فقد حدثت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وأغلبهم هاجروا اليها من أوربا مع موجة الاستعمار الغربي لهذه المنطقة (سعودي، : ٥٩٧).

لقد رأى اليهود ان هذه المنطقة ستكون مجالا خصبا للنشاط الاقتصادي الذي سيحتكره المستوطنون الاوربيون وهم جزء منهم لذا نشطت الهجرة اليهودية مستفيدة من القوانين والاجراءات الاستعمارية التي فرضت على هذه المنطقة. وعندما وصلوا وجدوا بني جنسهم ودينهم يشكلون جزءا من المجتمع الغربي ولهم تاريخهم الطويل هناك لكن ليس الأمر سهلاً بالنسبة لهم للاندماج والانصهار مع اليهود الآخرين بسبب العامل الديني فقط رغم وجود التعاطف فيما بينهم لكن العامل الاقتصادي كان يشكل أساسا لعلاقاتهم ذلك ان اليهود الاوربيين الذين هاجروا في فترة الاحتلال يشكلون جزءاً من البورجوازية الاوربية التي كانت تبحث عن مواقع طبقية معينة ربما لا تنسجم مع أغلبية اليهود الموجودين في المنطقة، وان علاقتهم الطبيعية هي مع الدول الاستعمارية الغربية.

ان دوافع الهجرة اليهودية في الفترة الاستعمارية الحديثة عديدة بعضها نفس الدوافع في الهجرات السابقة وبعضها يختلف كما استجدت دوافع وأسباب فرضتها طبيعة المرحلة التاريخية التي كانت تمر بها المنطقة في التاريخ الحديث.

فلقد كان الوجود الاستعماري في هذه المنطقة ودعمه للهجرات الاوربية عاملا أساسيا، كما أن ظهور النشاط الصهيوني في نهاية القرن التاسع عشر والبحث عن وطن قومي شجع وعزز ودعم هذه الهجرة، اضافة الى الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية التي يتمتع بها المغرب العربي.

وتجدر الاشارة الى ان موجة من الهجرة اليهودية قد حدثت بعد هزيمة فرنسا أثناء حرب السبعين ومعظمهم من الالزاس واللورين، وقد استفاد هؤلاء من قانون

التجنيس الفرنسي في الجزائر حوالى ٣٤٠٠٠ يهودي حتى عام ١٨٩١ ، فكان هؤلاء أكثر اتصالا بالاستعمار الفرنسي (Tessler and Hawkins, 1980: 16)[٣] .

هذه قصة الهجرات اليهودية عبر التاريخ الى منطقة المغرب العربي ، وهناك نوع آخر من الهجرة حدثت في التاريخ المعاصر وهي هجرة عكسية من المغرب العربي الى أوربا وفلسطين وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد .

اليهود والحكم العثماني في المغرب العربي:

يقول محمد العربي بن اسماعيل « لقد اتيحت لليهود في المجتمع الجزائري في عهد العثمانيين بالجزائر مكانة مرموقة سمحت لهم بالقيام بدور سياسي واجتماعي هام ، خصوصا بسبب عاملين ، أولهما : ان اليهود قد تعرضوا في الاندلس لنفس ما تعرض له المسلمون ، فهاجرت جماعات كبيرة منهم مع المهاجرين المسلمين الى هذه البلاد . وثانيهما : ان اليهود قد تمكنوا بما عرف عنهم من البراعة في النشاط التجاري والمعاملات المالية من الاستحواذ على قطاعات هامة في الحياة الاقتصادية في البلاد فاكتسبوا بذلك نفوذا واسعا في أوساط الاعمال وبين الطبقة الحاكمة وعلى رأسها البايات والدايات (بن اسماعيل ، ١٩٨٠ :٥/٦) .

وبتحليل هذا النص يبدو ان الدور السياسي والاجتماعي الذي كان يتمتع به اليهود في الجزائر يرجع الى سيطرتهم واحتكارهم الاقتصادي حيث ان من يملك القوة الاقتصادية يملك التأثير السياسي او يملك اتخاذ القرار السياسي . والمكانة الاقتصادية التي تمتع بها اليهود ترجع الى عاملين ، ان اليهود بطبيعتهم يعملون اساسا في التجارة ، وان الحكام العثمانيين كانوا بحاجة الى المال وهذا لا يتوفر الا في ايدي اليهود . ثم هناك أيضا عاملان بالنسبة لوضعهم داخل مناطق الامبراطورية العثمانية : الأول : ان الاسلام دين الدولة الرسمي أمر بمعاملة أهل الكتاب بالحسنى واليهود من أهل الكتاب ، وثانيا : ان قوانين الدولة العثمانية التي نصت على حماية الاجانب والاقليات والطوائف الدينية في بلادها . هذا الوضع بالنسبة لليهود ليس في الجزائر وحدها بل هو أيضا في المناطق الاخرى التي كانت تقع تحت النفوذ العثماني . ففي تونس منذ ١٧١٠ أصبحت لليهود مؤسساتهم

الخاصة بهم كالمعبد والمقبرة ومحكمة حاخامية ومقصب ومدارس الخ، كما أصبح لهم وضع اقتصادي متميز خاصة اليهود الذين هم من أصل أوربي والذين تمكنوا من أن ينتزعوا عام ١٨٢٤ من الباي حسن الاعتراف بانفصالهم عن اليهود التوانسة، فعين لهم قائدا خاصا بهم يرعى شؤونهم، كما سمح لهم باصدار جرائد في العهد العثماني خاصة منذ عام ١٨٧٨ . ومن اليهود من تقلد مناصب عالية في الدولة التونسية أثناء الحكم العثماني وقبل الاحتلال الفرنسي (التيمومي، ١٩٧٤ : ٧ - ١٤) .

أما وضع اليهود في ليبيا أثناء الحكم العثماني فيحتاج الى وقفة، ذلك ان ليبيا كانت مرشحة منذ بداية القرن العشرين أن تكون وطنا قوميا لليهود .

الهجرة اليهودية الى ليبيا قديمة وقد كانت بنغازي من اكثر المناطق التي تركز بها اليهود بعد هجرتهم الاولى اثر تخريب بيت المقدس ثم جاءت هجرات أخرى وقد كان عددهم ونفوذهم قويا في عهد الرومان الى درجة أنهم قاموا بثورة ضد الامبراطور (ترايان) وتذكر المصادر بأن ضحايا هذه الثورة من الليبيين والرومان كان حوالي مائتي ألف وقد كانت هناك قرى خاصة باليهود، والى وقت قريب كان بعض اليهود في طرابلس وبنغازي ودرنة وجبل غريان ومصراته يسكنون في أماكن تسمى (حارة) ويشتغلون بالتجارة والفلاحة (ناجي ونوري ١٩٧٣ : ١٢٩) .

لقد كانت أوضاع ليبيا الاقتصادية جيدة في العهد العثماني الاول وبما ان اليهود قد تمتعوا بالعطف والرعاية والأمن في ظل الحكم العثماني فقد فتحت أمامهم مجالات النشاط الاقتصادي في التجارة وبعض الصناعات الحرفية .

وقد بلغ عدد الطائفة اليهودية في ليبيا في نهاية العصر العثماني الاخير حوالي ١٤٫٨٢١ يهوديا وكان لهم ١٨ كنيسا و١١ مدرسة دينية (عبده وقاسمية ١٩٧١ : ٢٠٣ - ٢٠٤)[٤] .

لقد لاحظ ناحوم سلوش أحد أقطاب الحركة الصهيونية العالمية حين زار طرابلس الغرب عام ١٩٠٦ ان السلطات العثمانية كانت تعامل اليهود بالحسنى

وأشاد بالوالي المشير رجب باشا الذي كان يعاملهم دوما بالحسنى والود وكان مستعدا أن يقدم الامداد والعون للاليانس الاسرائيلي (مؤسسات الاتحاد الاسرائيلي العالمي) كما ذكر سلوش ان فئة التجار من اليهود في ليبيا كانت تعيش في أوضاع حسنة. وأغنياء اليهود هم الذين يشاركون في تجارة القوافل (الشيخ، ١٩٧٢ : ١٦). وللمزيد من التوضيح حول دعم السلطات العثمانية لليهود وتعزيز مكانتهم هو ما جرى عندما بدأ النشاط الصهيوني لاستيطان اليهود في ليبيا في بداية القرن العشرين.

بدأت المحاولات الصهيونية لاستيطان اليهود في ليبيا منذ بداية القرن العشرين، وهناك وثيقة في دار المحفوظات التاريخية بطرابلس الغرب ترجمت عن التركية الى اللغة العربية ونشرت في جريدة طرابلس الغرب في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٢/٩/٢٦ وهي رسالة من ناحوم سلوش الى يعقوب باكريجو السكرتير الخاص للوالي العثماني رجب باشا وتتضمن الوثيقة شكر وتقدير أعضاء المنظمة الصهيونية الإقليمية للتسهيلات التي قدمت (لسلوش) أثناء زيارته لليبيا عام ١٩٠٦ اضافة الى القرارات التي اتخذت لصالح الصهيونية بمشارمة سلوش والتي تتضمن الموافقة على أن تقوم المنظمة الصهيونية بتأسيس بنك يهودي لشراء الاراضي في ليبيا والموافقة على منح الجنسية العثمانية لليهود المهاجرين الى ليبيا وتقوم المنظمة الصهيونية بتأسيس سكة حديد وشركة للملاحة في ليبيا لاستقبال المهاجرين اليهود، وكانت الوثيقة سرية.

هذه الوثيقة دليل على جدية المحاولات الاستيطانية الصهيونية في اقليم برقة واتخاذها نقطة انطلاق. وفي منتصف يوليو عام ١٩٠٨ وصلت بعثة الخبراء الصهيونية مدينة طرابلس الغرب وكان يرأسها البروفسور جريجوري Prof. G. W. Gregory أستاذ الجيولوجيا بجامعة جلاسجو البريطانية وقام القنصل البريطاني العام في طرابلس جوستين الفاريز بمهمة استقبال أفراد البعثة وتقديمهم إلى الوالي العثماني رجب باشا الذي قابلهم بمنتهى الود وسمح لهم باصطحاب سكرتيره لتسهيل مهمتهم مع السلطات العثمانية المحلية في برقة. وأمضت البعثة ثلاثة أسابيع في برقة لدراسة

طبيعة المنطقة ومدى صلاحيتها للاستيطان اليهودي، ونتيجة لذلك قررت المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٠٩ صلاحية منطقة الجبل الأخضر في ليبيا للإستيطان اليهودي (محمود، ١٩٧٨)[٥].

ونتيجة لذلك يمكننا تلخيص الامر بالنقاط التالية:

- ان الحاجة المالية قد دفعت السلطات العثمانية الى دعم اليهود ومساعدتهم لما يتمتعون به من نشاط تجاري وامكانيات اقتصادية.
- ان التسامح الاسلامي مع أهل الكتاب استغل من قبل اليهود للاحتكار الاقتصادي ومن ثم للنشاط الصهيوني.
- ان قوانين الامبراطورية العثمانية بشأن حماية الطوائف والاقليات قد استغلت كذلك من قبل اليهود ومكنتهم من المناطق التي يتواجدون بها ومن التأثير الاقتصادي والسياسي على سلطاتهم.
- ان التغلغل العربي في المناطق التابعة للامبراطورية العثمانية ودعم الحكومات الغربية للصهيونية وعدم قدرة السلطات العثمانية على مواجهة هذا التغلغل كان من الاسباب التي عززت مكانة اليهود.

وفي الوقت الذي كان اليهود يتمتعون فيه بهذه المكانة تحت السيادة العثمانية كان الوضع شبيها بذلك في مراكش رغم انها لم تكن تحت السيادة العثمانية. نعلم ان الثقل السكاني اليهودي في مراكش كان ولا يزال أكثر منه في أي منطقة من مناطق المغرب العربي. ان وضع الحكم العائلي في مراكش لا يختلف من حيث التركيب الاجتماعي عنه في المناطق الاخرى وكذلك الوضع الاجتماعي للمجتمع في المغرب الاقصى، وان التفاعلات الداخلية كانت متشابهة مع الاختلاف في التفاصيل اضافة الى ان التأثير الخارجي عليها كان واحدا لذا لم يكن وضع اليهود ولا تأثيرهم يختلف جوهريا عما هو عليه في المناطق الاخرى، وقد ذكر ولتر هاريس مراسل التايمز اللندنية والذي قضى معظم حياته في مراكش وكان له أصدقاء كثيرون من اليهود. «ان اليهود كان يتيسر لهم الوصول الى أصحاب السلطة في أي وقت-شاءوا والسلاطين أنفسهم كانوا يبدون أكثر ايناسا ولطفا مع

اليهود العاملين في القصر رجالا ونساء منهم من بني قومهم . . . ان مكانتهم كانت في حالات كثيرة أفضل من مكانة المسلمين . . . وترتب على ذلك ان يهود المغرب كانوا أقدر على نيل حقوقهم من جيرانهم المسلمين وذلك بسبب الصداقات التي كانوا يقيمونها في القصر ومع الوزراء ومما يؤكد هذه المكانة هو القرار الذي أصدره السلطان محمد بن عبد الله في فبراير ١٨٦٤ والذي طالب فيه بعدم التعرض لليهود ومعاملتهم بالحسنى وعدم ظلمهم وحذر من أن من يتعدى عليهم سينال العقاب (لاندو ١٩٦٣ : ٣١ - ٣٢)[٦] .

يهود المغرب العربي في العهد الاستعماري:

منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وفرنسا تخطط لكسب اليهود الى جانبها لمساعدتها في عملية الاحتلال واستمرارها وتحقيق أهدافها ؛ وقد كان ذلك التخطيط مبنياً على دراسة أوضاع اليهود الدينية والاجتماعية والاقتصادية ومعرفة مدى الاستفادة منهم ، فبدأت عملية اعطائهم وضعا خاصا بهم عن طريق اتخاذ سلسلة من الاجراءات والتنظيمات القانونية ، امتدت منذ بداية الاحتلال حتى توجت بمنحهم الجنسية الفرنسية عام ١٨٧٠ في عهد الجمهورية الثالثة .

في عام الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٣٠ صدر مرسوم دردنانس Dradnnance والذي أقر حرية العبادة لجميع الطوائف الدينية ومن بينها اليهود ، بعد ذلك بفترة وجيزة أي في عام ١٨٤٣ صدر قانون يخضع اليهود الجزائريين لاحكام القانون الفرنسي ولكنه أبقى لهم تشريعاتهم الدينية ومحاكمهم الخاصة بهذا الشأن . وأعقب ذلك في عام ١٨٣٤ صدور مرسوم دمج الطائفة اليهودية من الناحية القانونية في القانون الفرنسي العام ذلك يعني الغاء المحاكم الدينية الخاصة باليهود .

وفي عام ١٨٤٥ صدر مرسوم جديد يقر انشاء ثلاثة مجامع دينية يهودية في الجزائر ووهران وقسطنطينية في نطاق نظام الأحوال الشخصية لليهود وفي اطار القانون الفرنسي . بعد هذه الخطوات التمهيدية لادماج اليهود في المجموعة الفرنسية وعزلها عن المجتمع الجزائري بدأت الخطوات العملية فصدرت اجراءات سنة

١٨٤٨ والتي أخضعت يهود الجزائر لنفس التنظيمات التي كانت تنتظم حياة يهود فرنسا وحان الوقت في عهد الجمهورية الثالثة لاعطاء اليهود حق المواطنة الفرنسية بمنحهم الجنسية الفرنسية، فقد قدم مشروع بهذا الشأن في مارس ١٨٧٠ واتخذ قرار كريميو Cremieux وكان هذا القرار تتويجاً لكل الجهود الفرنسية السابقة لكسب اليهود واستخدامهم لمساعدتها على الاحتلال واستمراره (سعيدوني، ١٩٨٠ : ٣ - ٥).

ونص هذا الاجراء أو القانون على السماح للجزائريين بأن يصبحوا من الرعايا الفرنسيين اذ تنازلوا عن قانون الاحوال الشخصية الخاص بهم. وكان غرض السلطات الفرنسية تحقيق فكرة الادماج أي دمج الجزائر بفرنسا. ورفض الجزائريون المسلمون هذا القرار واعتبروه منافيا لشريعتهم الاسلامية ولم يقبل بهم سوى عدد قليل من المسلمين أما اليهود فقد كانت فرصتهم التاريخية حيث أصبحوا جميعا مواطنين فرنسيين وارتقوا الى مستوى الطبقة الممتازة وأقرب الى المستوطنين منهم الى الجزائريين (عز الدين، ١٩٥٣ : ٣٨١)[٧].

وتمتع اليهود بالجنسية الفرنسية والامتيازات المترتبة عليها مدة سبعين عاما مقابل دعمهم للاستعمار الفرنسي وتضامنهم مع المستوطنين. وعندما جاءت حكومة فيشي أثناء الحرب العالمية الثانية وفي ظل الاحكام العرفية اتخذت قرارا عام ١٩٤٠ بالغاء قانون كريميو (جوليان ١٩٧٦ : ٣٠١ - ٣٠٥) وقد فسر البعض ان قرار الالغاء هذا قد نكب اليهود الجزائريين وانه دليل على معاداة الحكومة الفرنسية لهم. وهذه في الحقيقة مبالغة لا تعبر عن الواقع للاسباب التالية:

أولا: ان الغاء قانون كريميو لا يعني الغاء ما ترتب عليه من حصول اعداد كبيرة من اليهود على الجنسية الفرنسية.

ثانيا: ان الفترة الزمنية الطويلة التي مضت على تجنيسهم قد اكسبتهم مواقع طبقية واجتماعية لا تقل أهمية عن الجاليات والمستوطنين الاوربيين في الجزائر.

ثالثا : ان حكومة فيشي نفسها التي اتخذت القرار لم تعمر طويلا في فرنسا ولم يتضح ان مركز اليهود الجزائريين قد تغير بالفعل في السياسة الفرنسية نتيجة قرار الالغاء هذا .

ما هي انعكاسات هذا القانون على المستوطنين والمواطنين؟

بالنسبة للمواطنين اعتبروا اليهود الذين عاشوا معهم قرونا عديدة قد تحالفوا مع الاستعمار ضد ارادة الشعب الجزائري بقبولهم التجنيس بالجنسية الفرنسية وتعاونهم مع السلطات الاستعمارية والمستوطنين الاوربيين في الجزائر أما موقف المستوطنين الاوربيين فقد كان الاستياء من تجنيس اليهود لأنهم بذلك أصبحوا متكافئين معهم في الوقت الذي كانوا فيه يعتبرونهم كالعرب المسلمين مواطنين أدنى درجة منهم، ولكن أثبت اليهود بمرور الوقت انهم حلفاء متعاونون مع السلطات الاستعمارية كما ان وضعهم الاقتصادي قد منحهم مكانة تقربهم من المستوطنين .

ان قانون تجنيس اليهود قد حدث في الجزائر ولم يتخذ مثل هذا القانون في مراكش أو تونس آنذاك؛ **أولا** لأن هذا القانون قد اتخذ في مرحلة وصل فيها الاستعمار الفرنسي أوجه في عهد الجمهورية الثالثة في الوقت الذي لم تكن كل من تونس ومراكش قد احتلتا بعد، **وثانيا** لقد كانت السلطات الفرنسية بحاجة الى تعاون اليهود في القرن التاسع عشر أما عندما بدأت اطماعهم الصهيونية ودخولهم المعترك السياسي مع بداية القرن العشرين فان السلطات الفرنسية أصبحت حذرة منهم ولكنهم مع ذلك تمتعوا بأوضاع اقتصادية وسياسية مميزة في كل من تونس ومراكش في الفترة الاستعمارية وقد صدر بالفعل قانون تجنيس اليهود في تونس سيأتي الحديث عنه فيما بعد .

وفي مراكش تختلف الحالة، ذلك ان سعي الدول الاستعمارية، وسعي اليهود هو ليكونوا رعايا مراكشيين، خاصة الذين هاجروا في الفترة الاخيرة. وقد كان ضغط الانجليز عام ١٨٨٠ على السلطان مولاي الحسن ليصدر قانونا بهذا الشأن. وقد وقعت بعض الحوادث بين الطائفة اليهودية والمواطنين كان القنصل الانجليزي

في مراكش المدافع عن الطائفة اليهودية، فقد دعا إلى مـؤتمر الجاليـات الأجنبيـة في طنجة للنظر في وضع نظام خاص لحماية الأجانب، حضره ممثلو دول تلك الجاليات وانعقد المؤتمر في مدريد عام ١٨٨٠ وتركزت قراراته على أمرين:

الأول: مسألة امتيازات الاجانب في مراكش ومن يدخل في خدمتهم من الرعايا المراكشيين (المقصـود هنـا اليهـود طبعـا) واشتملـت هـذه الامتيازات على مبدأ القضاء القنصلي والاعفاء من الضرائب باستثناء المراكشيين المشمولين بالحماية الاجنبية وتتمتـع عـائلات المشمـولين بالحماية بنفس الامتيازات، كما نصت قرارات المؤتمر على جواز تملك الاجانب للعقارات في مراكش (العقاد، ١٩٦٩: ٢٣٠ ـ ٢٣٢).

نستنتج مما سبق ان لبريطانيا نفوذا مؤثرا في مراكش في نهاية القرن التاسع عشر وانها كانت تحمي اليهود وتتبنى قضيتهم منذ وقت مبكر، كما نستنتج أيضا بأن اليهود كانوا يشكلون ثقلا اقتصادياً وسكانيا له أهميته بحيث جعل الدول الاستعمارية تهتم بهم من جهة، وان السلطات المراكشية كانت تستجيب لطلباتهم وترضخ لضغوطهم من جهة أخرى.

وفي القرن العشرين أصبح وضع اليهود في ظل السيادة الاستعمارية أقوى مما كان عليه في السابق خاصة بعد قيام المنظمات الصهيونية العالمية والاقليمية التي بدأت تخطط لخلق وطن قومي لليهود وتهجير اليهود الى هذا الوطن. لقد أصبح اليهود في هذا الوقت أكثر جرأة على تحدي المواطنين، ففي الجزائر وقعت فتنة أشعلها اليهود عام ١٩٣٤ كان نتيجتها مقتل عدد من النساء والاطفال والرجال من الجانبين اليهودي والعربي المسلم. ويذكر ابن باديس المفكر الجزائري بأن هذه الفتنة التي وقعت في مدينة قسطنطينية كانت خسائر اليهود المادية فيها كبيرة والسبب ان أوضاعهم المادية كانت أفضل، كما حدثت فتنة أخرى مشابهة عام ١٩٥٦ في نفس المدينة عندما استغل اليهود وجود المقاتلين في الجبال أثناء حرب التحرير مع الاستعمار الفرنسي ولكونهم يتمتعون بالحماية الاستعمارية (الشهاب، ١٩٤٣: ٤٣٨ ـ ٤٦١)[٨].

أما الاوضاع في تونس فلم تكن أفضل حالا ، لقد كان اليهود يتمتعون بنفس الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في الجزائر في ظل السيطرة الاستعمارية ، فمنذ السنوات الاولى للحماية الفرنسية على تونس سارعت فرنسا الى ترتيب الاوضاع الداخلية لليهود وضبطهم بقوانين تكفل لها السيطرة عليهم . لقد كان قيام الحماية الفرنسية بالنسبة لليهود مفتاحاً لآمال كبيرة ، اذ ان فرنسا بثورتها البرجوازية سنة ١٧٨٩ سبقت بلدان أوربا للخروج باليهود من هامشيتهم وادماجهم في صلب مجتمعها ، هذا الموقف هو الذي حدا بيهود تونس للترحيب بالحماية الفرنسية لضمان أوضاعها الطبقية والحماية في ظل المظلة الاستعمارية (التيمومي ، ١٩٧٤ : ١٧ - ٢١) لقد استخدمت فرنسا بذكاء التناقض بين اليهود والعرب في تونس لخدمة مصالحها ، وتدريجيا انتقلت الطائفة اليهودية من طائفة دينية الى طائفة سياسية الى جانب الامبريالية وتدعم مخططاتها من جهة وتعتمد عليها المنظمات الصهيونية في الهجرة وتدعيم النشاط الصهيوني في فلسطين فيما بعد .

لقد صدر في تونس عام ١٩٢٣ قانون التجنيس وقد فسح المجال واسعا أمام اليهود للحصول على الجنسية الفرنسية وقد كان الغرض الاساسي زيادة الجالية الفرنسية في مواجهة تزايد عدد الايطاليين في تونس لكن اليهود قد استفادوا من هذه الفرصة بحيث أصبحت لهم حقوق المواطن الفرنسي كما أصبحت فرنسا ملجأ للمهاجرين من تونس (التيمومي ، ١٩٧٤ : ٦٢ - ٦٣) .

ان الظروف التي صدر فيها هذا القانون تختلف عن الظروف التي صدر فيها قانون كريميو في الجزائر ذلك ان طموح اليهود آنذاك كان اقتصاديا بالدرجة الاولى ولكنه في هذه المرحلة طموح سياسي واقتصادي . لقد صدر هذا القانون في تونس في ظل نشاط صهيوني عالمي محموم للسيطرة على فلسطين وجعلها وطناً قوميا ، وكانت المنظمات الصهيونية تحسب بدقة الخسارة والربح في عملية التجنيس هذه . نعلم انه في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى قد بدأ نشوء وتطور الحركة الوطنية في تونس والمنطقة بشكل عام مما جعل اليهود يرون في هذا الأمر وتطوره خطرا على وجودهم في المستقبل حيث وجدوا ضالتهم في السياسة الصهيونية في فلسطين .

وبدراسة التطور الديموغرافي لليهود في هذه المنطقة والذي يعتمد أساسا على الهجرة وليس على التطور الطبيعي في المواليد يمكننا ان نستنتج مدى الحماية والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في ظل السيادة الاستعمارية. فقد بلغ عدد اليهود في المغرب العربي بعد احتلال فلسطين ٤٥٠ ألف يهودي منهم ٢٠٠ ألف في المغرب الأقصى ١٤٠ ألفاً في الجزائر و٨٥ ألفاً في تونس والبقية في ليبيا. ولو تابعنا تطورهم في بعض السنوات في الجزائر لأعطانا هذا التطور اشارات هامة:

ففي سنة ١٨٧١ أي بعد صدور قانون كريميو لتجنيس اليهود كان عددهم ٣٣ ألفاً وبعد عشر سنوات أي في عام ١٨٨١ بلغ عددهم ٣٥ ألفاً وبعد ٢٥ سنة تضاعف هذا العدد تقريبا وبلغ حوالي ٦٥ ألف يهودي★ وفي عام ١٩١١ بلغ عددهم ٧٠ر٢٧١ ألفاً (العقاد، ١٩٦٩: ١٧٥)[٩].

ان زيادة عدد اليهود في الفترة الاستعمارية في المغرب العربي وتحمسهم للحصول على الجنسية الفرنسية ودعمهم للوجود الاستعماري وتعاونهم مع المستوطنين دليل على انهم كانوا يتمتعون بمكانة هامة في المنطقة وفي الاستراتيجية الاستعمارية كما انهم لعبوا دورا هاما أيضا في دعم السياسة الاستعمارية مقابل الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها، لقد تمكنت السياسة الاستعمارية من التفرقة بين العرب واليهود وكسبت الطائفة اليهودية الى جانبها لأن العلاقات الاجتماعية والدينية بين الجماعتين غير طبيعية خلال تاريخهم الطويل. لقد عاشوا في مناطق مغلقة واحتكروا التجارة واستغلوا المواطنين ووقفوا مع السلطات الاستعمارية فلم يعد هناك أمل لعلاقات طبيعية مع عرب المنطقة وهم يدركون تمام الادراك هذه الحقيقة لذا عندما نشطت الحركة الوطنية في المغرب العربي مطالبة بالاستقلال والتحرر بدأ اليهود يعدون العدة للهجرة إلى فرنسا وأوربا والى فلسطين بعد احتلالها عام ١٩٤٨.

★ لا بد ان هناك علاقة ما بين هذه الزيادة في هجرة اليهود الى المغرب العربي في هذه الفترة وبدء النشاط الصهيوني بعد المؤتمر الذي عقد عام ١٨٩٧.

الوضع الاجتماعي ليهود المغرب العربي:

لقد بدأ ترتيب وضع اليهود الاجتماعي منذ القرن الثالث عشر الميلادي فقد خصصت لهم أحياء خاصة لسكناهم في المغرب الاقصى تسمى الواحدة ملاَّح★ وذلك لحمايتهم من الشعب واعتبروا من أهل الذمة، وقد ضمنت أموالهم وحريتهم مقابل بعض الواجبات عليهم أهمها الجزية ومع ان بعض اليهود قد حافظوا على استعمال اللغة العبرية الا ان أكثرهم قد اتخذ الاسبانية مهجنه مع عبرية أو عربية. وقد كان العرب اكثر تسامحا من البربر نحو اليهود فاتيحت لهم فرص أفضل في المناطق التي يسكنها العرب، ونجح عدد من اليهود وأصبحت لهم مكانة اجتماعية واقتصادية. انتشر الطلاق بين اليهود على نحو انتشاره بين المسلمين كما ساروا على أساس تعدد الزوجات وقبل أن تصبح الملاحات (الاحياء الخاصة باليهود) سبيلا منظما لحمايتهم، كانت هناك عادات لدى اليهود هي مزيج من عادات العرب والبربر وبعضها لا عربية ولا بربرية. والجماعة اليهودية توقفت عن دفع الجزية الى موظفي السلطان المحليين في مطلع القرن العشرين واستعاضت عنها بتقديم الهدايا الى السلطان في المناسبات الاحتفالية (لاندو، ١٩٦٣: ٢٩ - ٣٢).

واليهود المغاربة ينتظمون في نوعين من البنى الاجتماعية: البنية الدينية والبنى البرجوازية والسياسية. وقد نشطت الصهيونية في أوساط الجماعة الثانية مما أدى الى اعتراض الجماعة الحاخامية الدينية ولكنهم لم يتمكنوا من مواجهتها (صرفاتي ١٩٧١: ٢٠٩ - ٢١٣).

أما يهود تونس فكانوا ينقسمون الى طائفتين هما:

— طائفة الفرانـه وهم من أصل أوربي.

— طائفة التوانسة وهم الذين ينتسبون الى سلالة سكنت تونس منذ عهود قديمة.

★ هذا التنظيم الجديد لليهود قد حدث في القرن الثالث عشر بعد تفكك وحدة البلاد بسقوط دولة الموحدين وقيام الكيانات الأسرية في المنطقة.

ويرجع وجود الطائفة الاولى الى المد الرأسمالي في أوربا حيث طردوا من الجزيرة الايبيريـة في أواخـر القـرن الخامس عشر كما سبـق ذكـره لتخصصهـم بالتجارة فأصبحوا عقبة أمام نمو الطبقة البورجوازية المحلية. توجه هؤلاء الى تونس وايطاليا. والاسم فرانه جاء من اسم مدينة ايطالية هاجروا اليها ثم رحلوا عنها الى تونس في بداية القرن التاسع عشر وهي مدينة (الفرانـه) Livourne .

لقد انفصل اليهود الفرانه الغربيون عن طائفة اليهود التوانسة سنة ١٧١٠ فأصبحت لهم منذ ذلك التـاريـخ مـؤسسـاتهم الخاصـة (معبـد ، مقبرة ، محكمـة حاخامية ، مقصبة) وكانت هناك ضريبة غير مباشرة على اللحم تمثل أهم مورد جبائي للطائفة اليهودية (التيمومي ، ١٩٧٤ : ٧ ـ ١٠) .

أما من الناحية التعليميـة فقـد أنشـأت الرابطـة اليهـوديـة L'alliance Israelite Universelle* بـالتعـاون مـع الانجلـوجـوش اسيـوسيـاشـن L'anglo Jewish Association البريطانية عددا من المدارس في تونس منذ عام ١٩٧٨ اضافة الى مدارس البعثات التبشيرية المسيحية والمدارس الفرنسية الرسمية التي استقطبت أبناء اليهود . وقد واكب انتشار التعليم في أوساط اليهود انتشار الثقافة التي كانت تأخذ طابعا امبرياليا ثم صهيونيا وأصبح للجالية اليهودية عدد كبير من الصحف التي كانت مجالا خصبا للدعاية الصهيونية لكن التعليم قد تركز في أوساط الطبقة اليهودية البورجوازية وبقيت أغلبية الطائفة اليهودية فقيرة جاهلة حتى أوائل القرن العشرين . واللهجة أو اللغة التي يتحدثون بها هي عبرية ـ عربية ، وهي عربية محلية ممزوجة بكلمات أوروبية وتكتب بالأحرف العربيـة (التيمـومـي ، ١٩٧٤ : ١٢ ـ ١٣) .

★ **الاليانس:** رابطة اسرائيلية تأسست عام ١٨٦٤ وهي هيئة تعليمية تمارس نشاطاتها لخدمة اليهود على نطاق دولي في مجال التعليم، وكان لمدارس هذه الرابطة أثر في تعليم يهود المغرب العربي خاصة يهود مراكش وتونس، أما يهود الجزائر فقد انخرطوا منذ البداية في نظام التعليم الفرنسي .

والوضع التعليمي لليهود في ليبيا في العصر العثماني والعصر الايطالي كان أفضل حالا من السكان المحليين خاصة في العصر الاستعماري قامت مدارس التلمود على أساس ديني والمدارس الابتدائية الحديثة التابعة للمؤتمر الاسرائيلي العالمي وكان يزداد عدد تلاميذها وفسح المجال أمامهم لدخول المدارس الايطالية سواء كانت ثانوية أو فنية أو مهنية. كما سمح لهم في العصر الاستعماري اقامة معهد فني خاص بمدينة طرابلس تديره هيئة المجتمع اليهودي بالمدينة لتدريب أبناء اليهود على اكتساب بعض الحرف الفنية التي يستطيعون من خلالها التأثير على الأوضاع الاقتصادية في البلاد. أما المنهج فقد كان يشمل تدريس التوراة باللغة العبرية والقراءة والحساب باللغة العربية وتاريخ أنبياء اسرائيل باللغة التركية ثم باللغات الاوربية، كما ادرك اليهود أهمية التعليم التجاري وأدخلوه في مناهجهم كما أدركوا أهمية ادخال العلوم الحديثة وتعلم اللغات الاوربية مبكرا (الشيخ، ١٩٧٢: ١١٣ - ١١٤، ٢٤٨ - ٢٤٩).

أما الوضع الاجتماعي لليهود في الجزائر فهو مماثل للمناطق الاخرى وأكثر منها تأثرا بأوربا ذلك لوقوع الجزائر تحت السيطرة الفرنسية قبل المناطق الاخرى ولاتصال اليهود بالدول الاوربية مبكرا أتاح لهم الفرصة للتأثر بالاوضاع الثقافية والاجتماعية في أوربا ولكن هذا التأثير كان في أوساط الطبقة البورجوازية ولم يشمل كل الطائفة اليهودية، وبشكل عام يذكر بأن وضع يهود الجزائر الاجتماعي كان اكثر تطورا من المناطق الاخرى (عبده وقاسمية، ١٩٧٢: ٢٥٤ - ٢٥٥)[١٠].

الوضع الاقتصادي ليهود المغرب العربي:

لكون اليهود متخصصين في التجارة والنشاط المالي فمنذ العهد العثماني وهم يحتكرون تجارة الجزائر وبقية أجزاء المغرب العربي تحت جاية الدايات والبايات والقنصليات الاجنبية خاصة الفرنسية والانجليزية.

ولقد كان السبب الرئيسي لهذا النشاط الاقتصادي اليهودي هو توثيق الطبقة البورجوازية اليهودية في المنطقة لعلاقاتها مع البيوت والشركات التجارية في

أوربا، وقد بلغت سيطرة اليهود التجارية أوجها في الجزائر في أواخر العهد العثماني في مؤسسات ميشال كوهين بكري وبوشناق والتي كانت لها ديون ضخمة على الجزائر والتي اتخذت ذريعة لاحتلال الجزائر عام ١٨٣٠، حيث كانت هذه المؤسسات تستغل حاجة الداي الى الاموال فكان يلجأ الى كبار اليهود للاقتراض وهؤلاء يقرضون الداي ويمددون آجال قروضهم السابقة مقابل مكاسب اقتصادية يحصلون عليها في البلاد مما أدى الى زيادة ثروة اليهود واحتكارهم وزيادة نفوذهم السياسي، وفي المقابل كانت حاجة الداي لهم تزداد أيضا، ولا يخفى ارتباط هذه المؤسسات بأوربا وفرنسا خاصة (بن اسماعيل، ١٩٨٠: ٥ - ٦).

لقد احتكر اليهود المجال التجاري ويعتبر مهنتهم الرئيسية وعاشت طبقة منهم في حالة من اليسر المادي تقارب ما كان عليه المستوطنون الاوربيون في المغرب العربي وان لم تكن كذلك في بعض المناطق الا انها وبكل تأكيد أفضل من حالة المواطنين العرب. لقد عمل اليهود كذلك الى جانب عملهم بالتجارة بالصيرفة وصناعة المجوهرات والسجاد... الخ... ففي تونس مع نمو قوة اليهود الاوروبيين الاقتصادية خاصة وتردي أوضاع تونس في الاقتراض الربوي من البنوك الاوربية كانت البلاد تعيش حالة تردي الاوضاع الاقتصادية. لقد كان اليهود في تونس في النصف الأول من القرن التاسع عشر مجرد همزة وصل متواضعة بين الرأسمالية الغربية والسوق المحلية لكن هذا الوضع بدأ ينمو ويتطور باحتكار اليهود للوضع الاقتصادي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين (التيمومي، ١٩٧٤: ١١)[١١].

هل تغير الحال في تونس بعد الاستقلال؟

لقد استمر نشاط الطائفة اليهودية الاقتصادي ضمن استمرار نشاط الرأسمال الغربي في البلاد ويذكر الطاهر الحداد ان أنشط فئة رابحة اقتصاديا في تونس في العصر الحاضر هم اليهود، فهم يقرضون الفلاحين ويقومون بتسويق المنتجات الزراعية كما انهم يقومون بدور هام في الاستيراد بالاشتراك مع الشركات الاجنبية (الحداد، : ٣١ - ٣٢).

عندما نتحدث عن منطقة معينة في المغرب العربي فان دور اليهود خاصة من الناحية الاقتصادية والسياسية ينسحب على المناطق الاخرى فالدور الذي تحدثنا عنه بالنسبة لتونس هو نفس الدور في مراكش وليبيا (الشيخ، ١٩٧٢ : ٢٢).

أما بالنسبة لدور اليهود الاقتصادي في مراكش فيذكر مجموعة من التقدميين المغاربة في كتابهم «الصراع الطبقي في المغرب» ما يلي:

«ويواصل روتشيلد الصهيوني سيطرته على خمسة وثلاثين بالمائة من منتوجات معدن الرصاص بأحولى، ويستحوذ على ثلاثة وثمانين بالمائة من انتاج معدن الحديد بالرحامنة، وعلى عشرة بالمائة من معدن الزنك بزليجه وعلى مسبك المعادن بالحمير» هذا يحدث في الوقت الحاضر. كما ان البورجوازية اليهودية في المغرب الاقصى تسيطر على قطاع التأمين والقطاع العقاري بشكل خاص ويعتمد عليها النظام الاقطاعي القائم وهي مرتبطة بالحركة الصهيونية خاصة كبار الموظفين الذين يشغلون مناصب هامة في الدولة (مجموعة من التقدميين المغاربة، ١٩٧٣ : ٢٨، ١٦٧).

بعد هذا كله ألا يتوقع أن يكون هناك تناقض بين السكان العرب في المغرب العربي وبين اليهود عدا التناقض الديني التقليدي. ان الاحتكار الاقتصادي التجاري خاصة من قبل اليهود ونفوذهم الاقتصادي والسياسي وتعاملهم الاقتصادي مع الشركات الاحتكارية الغربية جعلت هناك تناقضاً جوهرياً بينهم وبين المواطنين العرب، إضافة إلى العامل السياسي الذي نشأ على أثر النشاط الصهيوني واحتلال فلسطين.

النشاط الصهيوني ليهود المغرب العربي:

منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧ في بال في سويسرا والحركة الصهيونية العالمية تعمل جاهدة على كسب يهود المغرب العربي واقناعهم بالفكرة الصهيونية. ومما يدل على ان يهود المنطقة لم يكونوا بعيدا عن الحركة الصهيونية منذ ولادتها حضور ممثل عن يهود الجزائر المؤتمر الصهيوني الاول واسمه عتالي E.

Attali أحد يهود مدينة قسطنطينه الجزائرية، كما ان المؤتمر الثاني الصهيوني الذي عقد في نفس المدينة عام ١٩٠١ قد أقر بوجود جماعات صهيونية بمدينتي قسطنطينه والجزائر. لقد تواكب النشاط الصهيوني في كل من الجزائر وتونس (سعيدوني، ١٩٨٠: ١٢).

ان أول محاولة لاقامة تنظيم صهيوني بتونس تمت عام ١٨٩٨ ولكنها فشلت وكانت المحاولة على يد جابر بن علوش،وفي السنة نفسها وصلت الى المؤتمر الصهيوني العالمي برقية من «الشبيبة الصهيونية التونسية» والتي لم يكن لها آنذاك وجود تنظيمي.

هذه المحاولات تبلورت في ميلاد المنظمة الصهيونية في تونس «الأفودات صيون» عام ١٩١١ وقد قامت بتعاون يهود الفرانه الذين هم من أصل أوربي والتوانسة وهؤلاء جميعا ينتمون الى البورجوازية الصغيرة والمتوسطة لكلتا الطائفتين. لقد تركز نشاط هذه المنظمة الصهيونية في العمل الاعلامي للتبشير بالوطن القومي وتوعية اليهود بهذا الوطن وضرورة الهجرة اليه. وقد انضمت هذه المنظمة الى المنظمة الصهيونية العالمية عن طريق الفيدرالية الصهيونية الفرنسية والتي لعبت دورا هاما في تنظيم عملية هجرة اليهود من المغرب العربي. وقد كان للمنظمة الصهيونية التونسية جريدة تحمل عنوان «صوت صهيون» La voix de Sion وانشقت هذه المنظمة عام ١٩١٤ حيث ظهرت منظمة جديدة تحمل اسم «اليوشبات صهيون» Yochebet Sion وأصبح لها جريدة تحمل اسم مجلة تونس Tunis Revue ورغم عدم التجانس بين أعضاء هذه المنظمات إلا أن أرضية فكرية واحدة كانت تجمعهم وهي اعتبار الدين اليهودي جوهر الحركة الصهيونية والعمل للوطن القومي. اضافة إلى ذلك ظهرت في تونس منظمتان صهيونيتان قبل صدور وعد بلفور ١٩١٧ وهما ترهام صيون Terham Sion وأوهافي صيون Ohavei Sion. وبعد صدور وعد بلفور نشطت الحركة الصهيونية على كل المستويات وفي عام ١٩٢٤ صدرت للمنظمات الصهيونية في تونس مجلة اسبوعية هي «اليقظة اليهودية» ولكنها احتجبت بعد حوالي عشر سنوات. وظهرت جرائد ومجلات صهيونية

أخرى في تونس مثل « جريدة العمل الاسرائيلي » والمجلة الاسرائيلية والضوء الوهاج (التيمومي، ١٩٧٤ : ٢٥ - ٢٩، ٣٢ - ٣٥، ٥٦ - ٥٨).

والنشاط الصهيوني هذا في الجزائر وتونس كان يواكبه نشاط صهيوني كذلك في كل من ليبيا ومراكش. وفي ليبيا كان الوضع أخطر ذلك ان ليبيا كانت من الناطق المرشحة لأن تكون وطنا قوميا لليهود خاصة منطقة الجبل الأخضر.

وتعود المحاولات الصهيونية لاستيطانها إلى بداية عام ١٩٠٤ حين اكتشف هرتزل ما تبيته ايطاليا من نوايا استعمارية تجاه ليبيا، فتقدم الى الملك الايطالي باقتراح يرقى الى تحويل مسار الهجرات اليهودية من أوربا الشرقية الى طرابلس الغرب ليستوطنها اليهود ويقيموا فيها حكماً خاصاً بهم في ظل القوانين والمؤسسات الليبرالية الايطالية.

وكان الرد الذي تلقاه هرتزل من الملك الايطالي هو الرفض لهذه الفكرة وتبلور في عدم قدرة بلاده على تقديم الدعم للمنظمة الصهيونية في هذا المجال في الوقت الحاضر ولخص رأيه « بأن طرابلس الغرب وطن للآخرين » وكان التحفظ الايطالي يهدف إلى عدم كشف الخطط الايطالية لاحتلال ليبيا، فكشفها يسبب لايطاليا متاعب كثيرة مع الدول الأوروبية الأخرى خاصة بريطانيا وفرنسا اضافة إلى الدولة العثمانية، وسبق أن ذكرنا عن هذا النشاط قبل الاحتلال الايطالي وفي العهد العثماني ولكن بعد سيطرة ايطاليا على ليبيا بدات المنظمة الصهيونية العالمية في البحث عن مكان آخر ليكون وطنا قوميا لليهود (محمود، ١٩٧٨ : ٢٣ - ٢٧).

ويعتبر الثقل السكاني لليهود في المغرب العربي وانتعاش أوضاعهم الاقتصادية من الدوافع الرئيسية لتركيز النشاط الصهيوني بين صفوفهم لكن دعوى الحركة الصهيونية لهجرة يهود المرب المغرب الى اسرائيل لسوء المعاملة التي كانوا يلقونها دعوى لا تستند إلى أساس كيف كانوا يعاملون بصورة سيئة وقد أقاموا آلاف السنين في المنطقة؟!

ثم كيف كانوا يعاملون بصورة سيئة ويشهد الكتاب الصهاينة أنفسهم بأنهم كانوا يتمتعون طوال تاريخهم بوضع اقتصادي جيد وأفضل من السكان العرب المسلمين؟!

لقد استغلت الحركة الصهيونية بعض الحوادث الفردية لتثبيت دعواها وقد كانت تلك الحوادث من فعل اليهود أنفسهم، إن التاريخ يحدثنا بأنهم عاشوا في المنطقة في أمان وتمتعوا بأفضل وضع اقتصادي وعوملوا بالتسامح طوال فترات التاريخ (العقاد، ١٩٧٢: ٤٠).

وبهذا الصدد لا بد من الحديث عن النشاط الصهيوني في مراكش والمعاملة التي كانوا يلقونها هناك قبل ظهور الدعوة الصهيونية وبعدها.

لقد نشط اليهود منذ البداية للتقرب من الحكام المحليين وكان غرضهم من ذلك هو الحصول على الحماية وليتمكنوا من التأثير على مجريات الأمور باتجاه خدمة مصالحهم. لقد ذكر ولتر هاريس مراسل التيمز اللندنية The Times والذي قضى معظم حياته في مراكش وكان له أصدقاء كثيرون من الجماعة اليهودية يقول: «ان اليهود (في مراكش) كان يتيسر لهم الوصول الى أصحاب السلطة في أي وقت شاءوا حتى السلاطين أنفسهم كانوا يبدون أكثر ايناسا ولطفا مع اليهود العاملين في القصر نساء ورجالا ـ منهم من بني قومهم... ان مكانتهم كانت في حالات كثيرة أفضل من مكانة المسلمين... وقد ترتب على ذلك أن يهود المغرب الأقصى كانوا غالباً أقدر على نيل ما قد يهضم من حقوقهم من جيرانهم المسلمين، وذلك بسبب الصداقات التي كانوا يقيمونها مع المسؤولين الكبار» (لاندو، ١٩٦٣: ٣١ ـ ٣٢).

وما يؤكد هذه المكانة التي تمتع بها اليهود لدى سلاطين مراكش القرار الذي أصدره السلطان محمد بن عبد الله في فبراير ١٨٦٤ حيث جاء فيه:

«الى خدامنا وعمالنا والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود الذين بسائر أيالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في

الأحكام حتى لا يلحق أحدا منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يضام ولا ينالهم مكروه ولا اهتضام وأن لا يعتدي أحد عليهم . . . وأن لا يستعملوا أهل الحرف منهم الا عن طيب أنفسهم . . . ومن ظلم أحدا منهم أو تعدى عليه فانا نعاقبه بحول الله . . . » (لاندو، ١٩٦٣ : ٣١ - ٣٢) .

ونستنتج مما سبق ان يهود مراكش كانوا يتمتعون بحماية الحكام والسلاطين وان هذه الحماية والمكانة لم يكن يتمتع بها المواطنون العرب من أهل البلاد . وان لهذا الموقف دوافع وأسباب بعضها اقتصادية وبعضها سياسية .

لقد كان اليهود يسيطرون على اقتصاد البلاد ويحتكرون النشاط التجاري وكان السلاطين يقربونهم لمكانتهم الاقتصادية ثم إن اليهود في المقابل لا يستطيعون أن يستمروا في احتكار الوضع الاقتصادي واستثمار أموالهم في الداخل والخارج الا بالتقرب من السلاطين هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى فان اليهود أكثر فئات المجتمع تعليما وثقافة لذا هم قادرون بحكم هذه الميزة أن يكيفوا علاقاتهم وأوضاعهم بما يخدم مصالحهم ، وأخيرا علينا ان نأخذ بعين الاعتبار عدد اليهود في المغرب الاقصى كما أصبح لبعضهم مكانة ونفوذ هام في البلاد اقتصاديا وسياسيا .

هذه الدوافع والاسباب هي التي هيأت الاوضاع لعلاقات جيدة ومستمرة بين اليهود والسلاطين في المغرب الأقصى .

لقد بدأت بوادر النشاط الصهيوني في المغرب العربي عن طريق انشاء النوادي والجمعيات وتشكيل فرق للكشافة اليهودية وتعليمها الاناشيد الصهيونية ، كما ظهرت الاعلام الخاصة بهم ثم تطور الامر الى تكوين فرق عسكرية يهودية في الجيش البريطاني المرابط في ليبيا .

ان النشاط الصهيوني في المنطقة قد ازدهر في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد احتلال فلسطين وقيام دولة اسرائيل والاسباب التي كانت تقف وراء هذا الازدهار هي :

١) الخطط الصهيونية الاستعمارية لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

٢) النشاط الصهيوني الذي كانت تقوم به المنظمات الصهيونية في أوربا وتأثيرها على اليهود في المنطقة .

٣) قيام حركات التحرر والاستقلال في المغرب العربي وكفاحها السياسي والمسلح ضد الاستعمار جعل اليهود يقفون مع الاستعمار للحفاظ على الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها ولخوفهم على مستقبلهم مما أدى الى الهجرة اليهودية من المنطقة الى الدول الاوربية واسرائيل . (عبده وقاسميه : ١٩٧١ : ٢٥٨) .

في خضم هذه الأوضاع وتصاعد النشاط الصهيوني العالمي والمحلي في المغرب العربي كانت بعض الفئات والعناصر اليهودية متحفظة على هذا النشاط ووقفت موقفا سلبيا منها ليس عن طريق مقاومته ولكن عدم المشاركة به والتفرج عليه . وقد كان هذا الموقف يرجع لاسباب سياسية واقتصادية (سعيدوني ، ١٩٨٠ : ١٤ - ١٥) حيث ان هذه الفئات والعناصر ادركت خطورة انجرافها في هذا التيار وهي تمثل اقلية في بحر من السكان العرب المسلمين المعادين للصهيونية ، ولكن موقف هذه الفئة لم يؤثر أو يعرقل النشاط الصهيوني الذي كان قائما على اساس فكري وتنظيمي ومدعم من قوى استعمارية عالمية .

بعد أن قامت الحركة الصهيونية وقامت الدولة الاسرائيلية وأصبح من الصعب التفريق بين اليهودي واليهودي الصهيوني لم يعد الوازع الديني هو المحرك الاساسي لهذه الطائفة بل الميول السياسية والمصالح الاقتصادية .

وعندما قامت الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤ ضد الاستعمار الفرنسي اتخذ أغلب اليهود موقفا معاديا للثورة* ويرجع هذا الموقف الى أكثر من سبب :

أولا : ان يهود الجزائر من الناحية القانونية كانوا مواطنين فرنسيين بعد

---

* ان الموقف السلبي من الثورة سواء بالتردد في تأييدها أو التفرج على أحداثها يعتبر موقفاً معادياً خاصة وان لليهود علاقات وطيدة مع الاستعمار الفرنسي والمستوطنين الأوروبين في داخل المنطقة .

حصولهم على الجنسية الفرنسية.

ثانياً: كانوا غير مطمئنين على مستقبلهم وحتى تصريحات قادة الثورة بضمان مستقبلهم ديمقراطيا اذا فكوا الارتباط بالاستعمار واتخذوا موقفا ايجابيا من الثورة لم تقنعهم باتخاذ موقف ايجابي.

ثالثاً: ان التصاق الثورة الجزائرية بالمشرق العربي والذي كان يشهد صراعا مع اسرائيل زاد من قلق يهود المغرب العربي.

رابعاً: ان اتجاه الثورة وعزمها على التطبيق الاشتراكي بعد الحصول على الاستقلال سيبدد أحلام اليهود وأوضاعهم الاقتصادية حيث انهم كانوا يشكلون طبقة اقتصادية خصت بالامتيازات الكبيرة ولها علاقاتها الاقتصادية الدولية وما يثبت ذلك ان يهود الجزائر كانوا هم اكثر وأسبق اليهود الذين غادروا المنطقة الى فرنسا واسرائيل بعد قيام الثورة الجزائرية (العقاد، ١٩٦٩: ٥٢).

لقد تذبذب موقف اليهود من الثورة الجزائرية بين الغموض وعدم تحديد الموقف وبين التفرج على ما يجري والموقف العدائي لقد كانت الطائفة اليهودية تتظاهر بعدم زج نفسها في وسط القضايا السياسية كما اتضح ذلك من دعوة المجلس السنوي لاتحاد الطوائف اليهودية الجزائرية ١٩٥٦ بحجة انها طائفة دينية.

ان الممارسات السابقة أي منذ قيام الحركة الصهيونية العالمية الى قيام دولة اسرائيل والهجرة اليهودية كانت تتم بتأثير سياسي والآن عندما أحسوا بالخطر يعلنون أن لا دخل لهم في القضايا السياسية؟! ان كان ذلك حقيقة فهو لفئة قليلة منهم ولكنه في الحقيقة كان موقفا لحماية أنفسهم من جهة وللحفاظ على العلاقة التاريخية والمصلحية مع القوى الاستعمارية من جهة أخرى.

وقد كانت النتيجة انه بعد انتصار الثورة وحصول الجزائر على الاستقلال عام ١٩٦٢ كان ٥٠٪ من يهود الجزائر قد هاجروا من البلاد الى فرنسا واسرائيل (عبده وقاسميه، ١٩٧١: ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٤).

لم يكن هذا الموقف المعادي للحركة الوطنية خاصاً بيهود الجزائر وحدهم كذلك كان موقف يهود المغرب الاقصى.

عندما بدأت الحركة الوطنية المراكشية نشاطها السياسي من اجل الاستقلال بدا واضحا ميل اليهود مع السياسة الفرنسية (عبده وقاسميه، ١٩٧١: ٢٨٤) وعند البحث في الدوافع والاسباب لهذا الموقف نجد انها لا تختلف كثيرا في جوهرها عن الدوافع والاسباب التي كانت وراء موقف اليهود من الحركة الوطنية في كل منطقة المغرب العربي لقد كان اليهود يخافون بالدرجة الاولى على امتيازاتهم الاقتصادية خاصة الطبقة التجارية منهم ثم تأثرهم بنشاط الحركة الصهيونية العالمية.

في الوقت الذي كان فيه حزب الاستقلال يجري مباحثات الاستقلال مع الفرنسيين سنة ١٩٥٥ ذهب وفد يمثل يهود المغرب الأقصى حيث أخذ الضمانات على مستقبل اليهود في المغرب المستقل، وهكذا شارك اليهود في ادارة المملكة المغربية على مختلف المستويات واحتلوا مراكز هامة في الدولة (العقاد، ١٩٧٢: ٥٤) وأدى ذلك الضمان الى تأخر الهجرة اليهودية من المغرب الأقصى الى النصف الثاني من الستينات حيث ازدادت وبشكل ملحوظ بعد الحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧.

في الحقيقة بعد استقلال المغرب الاقصى احتل بعض اليهود مناصب هامة في الدولة، فقد ضمت أول حكومة مراكشية مستقلة وزيرا يهوديا هو الدكتور ليون بنزاكين Leon Benzaquen الذي أصبح وزيرا للبرق والبريد والهاتف، كما عين يهودي آخر في منصب الأمين العام في وزارة الخارجية وآخر مديرا عاما للانتاج المعدني وخبير تخطيط في وزارة الاقتصاد الوطني بالاضافة الى ملحق في وزارة الزراعة وموظفين كبار في وزارة الداخلية ومدير مكتب الحبوب، كما استعانت وزارة الخارجية بعدد كبير من اليهود كموظفين ورؤساء وأعضاء بعثات تجارية واقتصادية في الخارج وان معظم الوزارات لها فنيون ومستشارون وموظفون يهود والواقع ان مستوى اليهود التعليمي وخبرتهم الفنية ومعرفتهم لعدة لغات قد فتح أمامهم أكبر الفرص في البلاد بعد الاستقلال ولكن كل ذلك كان على حساب

الاستقلال الوطني ولمصلحة النشاط الصهيوني حيث تسلل هذا النشاط الى أجهزة الدولة وسخرها لمصلحة الحركة الصهيونية خاصة في المجال الاقتصادي وتنظيم عملية الهجرة، لقد كشف أمر هذا التسلل وهذا النشاط بعد حرب ١٩٦٧ حيث أعلنت المعارضة المغربية عن وجود تأثير صهيوني قوي في شركات التجارة الخارجية المغربية (عبده وقاسميه، ١٩٧١ : ١٢) وفي الحقيقة ان الجالية اليهودية في المغرب الاقصى تعد أكبر جالية يهودية في البلاد العربية وأكثرها نشاطا وتأثيرا على سياسة البلاد حتى اليوم. ان كثيراً من المحللين يرون في مواقف السلطات المغربية المترددة وفسح المجال للمنظمات الصهيونية بالنشاط السياسي والاقتصادي في البلاد اضافة الى ما نشر قبل فترة من ان السلطات المغربية قد لعبت دورا في التمهيد لاتفاقيات كامب ديفد بين مصر واسرائيل هذه المواقف جاءت نتيجة لتأثير اليهود في المغرب الاقصى.

ان البورجوازية اليهودية في المغرب الاقصى والمسيطرة على قطاعي التأمين والعقاري هي الطبقة التي تربطها بنظام الحكم علاقة مصلحة متبادلة وهذه البورجوازية مرتبطة بالحركة الصهيونية.

ان في مراكش منظمتين صهيونيتين ومكتباً لتهجير اليهود الى اسرائيل وهذه المنظمات والمكتب يعملون بصورة علنية (مجموعة من التقدميين المغاربة، ١٩٧٣ : ١٦٧).

لقد كان موقف الحكومة المغربية أثناء حرب ١٩٦٧ المعلن مع العرب في صراعهم مع اسرائيل ولكنه يبدو انه كان موقفا تكتيكيا واستجابة لمشاعر الجماهير في المغرب والتي أعلنت غضبتها ووقفت مع العرب وما يدل على ذلك ما ذكره Lawrence Rosen من أن صحيفة الاستقلال الناطقة باسم حزب الاستقلال قد دعت في الثاني عشر من حزيران وبعد الهزيمة الى مقاطعة اليهود الذين لهم علاقات مع اسرائيل وحلفائها وطالبت بمقاطعة بعض الشركات المغربية التي تتعامل مع اسرائيل، وأدى هذا الموقف الى نشر الخوف في وسط يهود المغرب الأقصى مما دفع بالسلطة الى أن تقدم على اغلاق الصحيفة لمدة يومين، وتصدر

بيانا عن البلاط الملكي يؤكد حماية اليهود وحفظ حقوقهم بالمغرب. وأوضحت الحكومة المغربية ان المقاطعة لليهود ليست من المبادىء الاسلامية ! The boycott is not an Islamic Principle.. (Rosen, 1970: 395) انه لأمر غريب حقا ان نواجه العدوان على شعبنا واحتلال أرضنا بهذه التبريرات، وننسى ان يهود المغرب العربي ومنهم يهود مراكش قد رحبوا بخلق دولة اسرائيل عام ١٨٤٨ (Rosen, 1970: 401) وانهم تعاونوا مع الاستعمار الغربي في هذه المنطقة وانهم استجابوا ودعموا الحركة الصهيونية العالمية.

موقف الحركة الوطنية في المغرب العربي من اليهود:

لقد كانت الحركة الوطنية بصورة عامة تعتبر اليهود طائفة دينية ولا تفرق بينها وبين باقي فئات الشعب لا بل عمدت في بعض الاحيان الى دعوتها الى مقاومة الاستعمار وبعضهم كان له موقف مؤيد للحركة الوطنية، لكن الامر قد اختلف بعد النشاط الصهيوني في أوساط يهود المنطقة وبعد قيام دولة اسرائيل.

فكما سبق أن ذكرنا كان موقفهم متحفظا ومعاديا من الثورة الجزائرية في الوقت الذي دعت فيه جبهة التحرير الجزائرية وأوضحت الى انها ستقيم دولة ديمقراطية اشتراكية تقضي على كل أنواع التمييز العنصري والديني (عبده وقاسميه: ١٩٧١: ١٨٣).

وكان موقف الحركة الوطنية التونسية بما فيهم الشيوعيون مناوئا للحركة الصهيونية منذ العشرينات وقد أوضحوا ذلك في جريدتهم «المستقبل الاجتماعي» ولكن علينا أن نذكر هنا أنه في فترة ما بين الحربين العالميتين لم تكن الحركة الوطنية تعي أبعاد النشاط الصهيوني وكانت تخلط بين نشاطهم السياسي والديني أو بين الصهيونية واليهودية دون وعي عميق بأخطار مثل هذا النشاط على المنطقة (التيمومي، ١٩٧٤: ٦٧ - ٧١).

أما الحركة الوطنية المراكشية فكانت تعيش في أغلب الأحيان في هدنة مع اليهود لأسباب عديدة نفوذهم القوي في البلاد والرغبة في عدم فتح معارك جانبية

تشغلهم عن قضيتهم الاساسية، العقلية البورجوازية لدى بعض قيادات الحركة الوطنية، ومحاولة كسب بعض العناصر اليهودية في صراعها مع الاستعمار. وقد تبلور موقف الحركة الوطنية بالامور التالية:

أولا: اعتبار اليهود طائفة دينية وجزءاً من المجتمع.

ثانيا: مقاومة النشاط الصهيوني من قبل القوى الوطنية ذات الاتجاه الجذري.

ثالثا: التعاون بين بعض العناصر اليهودية المناوئة للوجود الاستعماري.

هذه هي الصورة التي كانت عليها العلاقة بين الحركة الوطنية واليهود في المغرب العربي.

الهجرة اليهودية من المغرب العربي:

نشطت هجرة يهود المغرب العربي الى الدول الاوربية وفلسطين بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، ولقد كانت الهجرة اليهودية بشكل عام هي نتاج النشاط الصهيوني العالمي حيث ان عملية تهجير اليهود الى فلسطين كان محور عمل المنظمات الصهيونية العالمية. وخضعت هذه الهجرة للظروف السياسية المحلية والاقليمية والدولية تتصاعد وتنشط تارة، وتضعف تارة أخرى.

لقد كانت الهجرة اليهودية ترتكز على نفس الاسس التي سبق ذكرها والتي أدت الى النشاط الصهيوني (أبو بكر، ١٩٧٧: ٣٨ - ٣٩).

لقد مرت الهجرة اليهودية بعدة مراحل:

المرحلة الاولى ١٩١٧ - ١٩٤٨:

بدأت هذه المرحلة بصدور وعد بلفور البريطاني والذي أقر اعطاء اليهود وطنا قوميا في فلسطين، فكانت مرحلة ما بين الحربين العالميتين مرحلة مضطربة كانت فيها الدول الاستعمارية تعاني من هاتين الحربين ومن ترتيب مناطق نفوذها في المناطق التي استعمرتها كما انها بدأت تعاني من نشوء وتطور الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال في تلك المناطق المستعمرة، وهنا كان النشاط الصهيوني ضعيفا ولكنه لم يتوقف بل كان قادة الحركة الصهيونية يستفيدون من الظروف التي كانت

قائمة وان كانت الهجرة اليهودية من المغرب العربي باعداد ضئيلة فان الهجرة اليهودية بشكل عام الى فلسطين كانت نشطة وبصورة غير شرعية في غالبها وبدعم من الاستعمار البريطاني بشكل أساسي.

لقد كانت نسبة المهاجرين من المغرب العربي خلال هذه المرحلة ٧ر٠٪ الى مجموع المهاجرين اليهود الآخرين (سعيدوني، ١٩٨٠: ١٨).

المرحلة الثانية ١٩٤٨ - ١٩٥٦:

لقد كانت بداية هذه المرحلة قيام الوكالة اليهودية العالمية بانشاء ١٩ مزرعة نموذجية بفرنسا ليتدرب فيها ١٢٠٠ شاب يهودي مهاجر من المغرب العربي ما بين ١٩٤٩ - ١٩٥٠، يتدربون على أحدث الأساليب الزراعية ويتلقون فيها مبادىء الدعوة الصهيونية ويشرف عليها مبعوثون اسرائيليون يدربون خصيصا لهذا الغرض في ملتقيات Seminaires تدوم أربعة أشهر وتلقى فيها المحاضرات عن الحالة السياسية والوضعية الاقتصادية والثقافية ليهود المغرب العربي كما تدرس اللغة الفرنسية لتسهيل الاتصال مع اليهود. اذن هجرة يهود المغرب العربي كانت تتم على مرحلتين:

الاولى: يتوجه أثناءها المهاجرون الى فرنسا حيث يجمعون في معسكرات تهيئة أهمها معكسر أروناس Aronas القريب من مرسيليا والذي وضعته السلطات الفرنسية تحت تصرف الوكالة اليهودية عام ١٩٥٤* وتأتي **المرحلة الثانية** وهي الانتقال من فرنسا الى اسرائيل (سعيدوني، ١٩٨٠: ٣٢).

لقد تزايد عدد المهاجرين اليهود من المنطقة وخاصة بعد قيام دولة اسرائيل وقيام الثورة الجزائرية وبلغ عددهم في هذه المرحلة حوالي ١٠٠ر٠٠٠ مائة ألف مهاجر من المغرب العربي وهذا عدد كبير اذا ما قورن بعدد يهود المغرب العربي في هذه الفترة وهو حوالي نصف مليون يهودي (لاديكين، ١٩٧٥: ٢٣٠)[١٤]

---

* عام ١٩٥٤ هو عام قيام الثورة الجزائرية حيث بدأ اليهود يهاجرون بأعداد أكبر من السابق من الجزائر خوفاً على مستقبلهم.

المرحلة الثالثة ١٩٥٦ - ١٩٦٨ :

لقد شهدت هذه المرحلة حدثين هامين كان لهما تأثير مباشر وغير مباشر على الهجرة اليهودية من المغرب العربي الى أوربا واسرائيل، هذين الحدثين هما: استقلال دول المغرب العربي والحرب العربية الاسرائيلية عام ١٩٦٧ . فالحدث الاول أثار فزع اليهود وخوفهم خاصة انهم كانوا مرتبطين بالوجود الاستعماري والمستوطنين الاوربيين في المنطقة فهاجر الكثيرون منهم، والحدث الثاني كان هزيمة ١٩٦٧ والهجرة الجماعية التي أعقبتها خوفا من غضبة الشعب العربي خاصة وأن كثيراً من يهود المنطقة قد انغمسوا في النشاط الصهيوني . وقد شهدت هذه الفترة اكبر موجة للهجرة من المنطقة حيث لم يتبق الا ١/٣ العدد الكلي لليهود ومعظمهم هاجر الى فرنسا ٧٠٪ منهم و٣٠٪ الى اسرائيل (لاديكين، ١٩٧٥ : ٢٣٤)[١٥]، كما ان بدء المقاومة الفلسطينية لعملياتها منذ حرب ١٩٦٧ وتصاعد نشاطها لم يشجع اليهود للهجرة الى اسرائيل بأعداد كبيرة رغم محاولات الحركة الصهيونية لاقناعهم بالهجرة وضمان مستقبلهم .

لقد حاولت الحركة الصهيونية أن تستفيد من تجارب الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وأن تتعرف على نفسية العرب الفلسطينيين من خلال التعرف على واقع المجتمع العربي في المنطقة . لقد درست أعمال المستوطنين الفرنسيين وسلوكهم تجاه المواطنين لتستفيد منها في تحقيق أحلامها في فلسطين (سعيدوني، ١٩٨٠ : ٦٣) .

ان هجرة اليهود من المغرب العربي كانت ذات طابع طوعي ولم يجبروا على الهجرة بل بمساعدة الحركة الصهيونية العالمية ودعايتها المكثفة واختلاق المبررات التي تدفع اليهود للهجرة، ثم لارتباط اليهود بالبورجوازية الغربيةُ والوجود الاستعماري أصبح الامر منطقيا بأن ذهاب هذا الوجود يعني هجرة اليهود خاصة وان معظمهم يحمل الجنسية الفرنسية .

ولا يغيب عن البال تأثير الثقافة الغربية وخاصة الفرنسية على هؤلاء اليهود حيث انهم كانوا أكثر التصاقا بها من ثقافتهم الدينية أو الثقافة التقليدية التي كانت

تسود مجتمع المغرب العربي.

لقد تركز النشاط الصهيوني للتهجير على أمرين: الاول اقناع يهود المغرب العربي بالهجرة ثم اقناع من هاجروا بالتوجه الى اسرائيل حيث ان معظمهم قد اتجه الى فرنسا. لقد سلكت المنظمات الصهيونية اسلوب الترهيب والترغيب لدفع اليهود الى الهجرة من المنطقة. وتركزت الدعاية الصهيونية حول ادعاء اضطهاد العرب لليهود وانه لا حل لمشكلتهم الا بالهجرة الى اسرائيل.

لقد كان غرض الحركة الصهيونية اقتلاع يهود المنطقة واعادة غرسهم في اسرائيل، ولكنها واجهت كثيرا من المشكلات الناجة ليس فقط عن ضرورة توفير العمل للمهاجرين بل أيضا الناجة عن التركيب الاجتماعي والطبقي لهؤلاء المهاجرين، فهناك اليهود القدامى الذين يعملون بالفلاحة في الجبال والمناطق شبه الصحراوية، ثم هناك الفئات الحضرية البورجوازية التي عملت بالتجارة والحرف وتأتي الفئة الثالثة فئة العمال والفقراء في المدن والموانىء (أبو بكر، ١٩٧٧: ٣٨ - ٣٩)[١٦]، لقد حملت هذه الجماعات أمراضها معها وليس أمرا سهلا حل مشاكل هذه الجماعات التي جاءت من جهات مختلفة ومجتمعات ذات تركيب اجتماعي وطبقي مختلف.

وكانت الحركة الصهيونية تحاول اخفاء تلك المشكلات لئلا يكون لها تأثير سلبي على الهجرة فاذا شعر المهاجر بأن واقعه لم يتغير كثيرا بالهجرة فربما يعيد النظر في موقفه.

ان العلاقة الحميمة بين اليهود واسرائيل لم تكن فقط وسط المهاجرين بل هي كذلك وسط الرأسماليين اليهود وان لم يقتنعوا بالهجرة لاعتبارات مصلحية، وما يدل على ان هؤلاء مرتبطين بالصهيونية العالمية الخبر التالي « قالت الاذاعة الاسرائيلية ان عددا من رجال الاعمال اليهود من اسبانيا وشمال افريقيا قد وافقوا على استثمار أموالهم في اسرائيل. وقال الراديو ان المجموعة وافقت على استثمار حوالي ٥٠ مليون دولار في مشاريع مختلفة في الدولة الصهيونية بعد اجتماع عقده اعضاؤها مع ممثل اتحادنقابات العمال الاسرائيلية (المستدروت) غير ان الاذاعة لم

تذكر أسماء المستثمرين اليهود أو أوجه الاستثمار (وكالة الانباء الكويتية، ١٩٨٠).

وحول الهجرة المعاكسة من اسرائيل. لقد حدث بعد تصاعد عمليات المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة أن بدأت الهجرة اليهودية من اسرائيل الى الخارج ولكنها بأعداد محدودة، وقد كان من بين هؤلاء بعض يهود المغرب الأقصى.

وقد نشرت جريدة العلم المغربية في عددها الصادر بتاريخ ٧٦/٦/٢٠ نقلا عن الصحف الاسرائيلية أنه يعود إلى مراكش ٢٠٠ يهودي شهرياً. وتقول الصحيفة لقد بذلت اسرائيل جهودا كبيرة لافشال هذه الهجرة المضادة، وقد أكدت ذلك جريدة الأنباء المغربية في عددها ١٩٧٦/٧/٢٢ (جريدة العلم وجريدة الانباء المغربية ١٩٧٦).

قبل كل شيء ان أعداد هؤلاء اليهود العائدين الى مراكش محدودة وبصورة متقطعة، ثم عند البحث في الاسباب والدوافع وراء هذه الهجرة المعاكسة خاصة وانها تتجه فقط الى مراكش نرى ان هناك من الظروف السياسية والاقتصادية التي توفر الأمن والاستقرار لليهود في المغرب الأقصى وان يهود هذه البلاد لم يواجهوا في تاريخهم أي تحد حقيقي حتى الصهاينة منهم كانوا يجدون الاجواء التي يستطيعون من خلالها النشاط على كل المستويات السياسية والاقتصادية (A.Tessler and L.Hawkins., 1980: 62).

الخاتمة

بعد دراسة وضع اليهود والنشاط الصهيوني في المغرب العربي عبر العصور وحتى التاريخ المعاصر لا بد من استخلاص بعض النتائج الاساسية:

أولا: ان يهود المغرب العربي طوال تاريخهم الممتد منذ الالف الثالث قبل الميلاد وحتى نهاية القرن التاسع عشر عاشوا في المنطقة طائفة دينية كسائر الطوائف الاخرى، وتمتعوا بالامن والاستقرار.

ثانيا: ان السلطات العثمانية في المغرب العربي كانت تفسح المجال لليهود بالنشاط الاقتصادي بحجة التسامح الاسلامي تجاه أصحاب أهل الكتاب،

ولكن الامر في الحقيقة كان يهدف الى الاستفادة من أموالهم أولا لفتوحات الامبراطورية في عصرها الذهبي ومرحلة نشاطها وثانيا لخزينة الدولة والسلاطين والولاة أنفسهم في المراحل التالية عندما ساد الضعف كيان الامبراطورية.

ثالثا: عندما وقع المغرب العربي في يد الاستعمار الغربي وجد اليهود أن مصالحهم تقتضي التعاون مع تلك السلطات، فحصلوا على الجنسية الفرنسية وتحالفوا مع المستوطنين الاوربيين.

رابعا: عند دراسة الاوضاع الاقتصادية للمغرب العربي نجد سيطرة الجالية اليهودية على المصادر الاساسية لهذا الاقتصاد وفي فترات تاريخه المختلفة خاصة القطاع التجاري.

خامسا: في نهاية القرن التاسع عشر ظهرت الحركة الصهيونية التي تهدف الى اقامة وطن قومي لليهود، وكان يهود المغرب العربي ضمن الخارطة الصهيونية حيث تطوع منذ البداية بعض اليهود للانجراف في تيار هذه الحركةوأصبح يهود المنطقة ركيزة هامة في الاستراتيجية الصهيونية في تنفيذ خططها في تهجير اليهود الى فلسطين.

سادسا: ان موقف يهود المغرب العربي من الحركة الوطنية ـ التي قامت في المنطقة تطالب بالاستقلال والتحرر السياسي والاقتصادي والثقافي ـ كان سلبيا، فاما معادين متعاونين مع الغرب والمستوطنين واما متفرجين على الكفاح الوطني لهذه الحركة أما موقف الحركة الوطنية من اليهود فكانت دائما تعتبر هذه الطائفة فئة من المجتمع لها كل الحقوق وعليها كل الواجبات وتعامل بدون تفرقة، ولكن الكثيرين من اليهود استغلوا هذا الموقف لصالحهم كأفراد ولصالح الحركة الصهيونية العالمية.

سابعا: ان الشخصية السياسية والحضارية للمغرب العربي خلال مئات السنين كانت تقوم على العروبة والاسلام، ولم يتمكن اليهود ثقافيا واجتماعيا من الاندماج في المجتمع العربي الاسلامي.

الهوامش:

١) انظر ايضا:
- سوسه، أحمد، ١٩٧٥: ٥٥٥.
- الشرقاوي والصياد، ١٩٥٩: ٥٩/٦٠.
- خطاب، محمود شيث، ١٩٦٦، الجزء الاول، (ص٢٠).

٢) انظر ايضا:
- الجزائري، الامير محمد بن عبد القادر، الجزء الاول والثاني ١٩٦٤: ١٣.
- Mark A. Tessler L.Hawkins, 1980: 60

٣) انظر ايضا:
- سعودي، محمد، صفحة ٥٩٧/٥٩٨.

٤) انظر ايضا:
- ناجي ونوري، محمد ومحمد، ص ٢٥٢ جدول رقم (١).

٥) انظر ايضا:
- الدجاني، أحمد صدقي، جمع وترجمة الحاج عبد السلام ادهم ص ٢٢٤ - ٢٢٧.

٦) انظر ايضا:
- توللي، الآنسة، ١٩٦٧: ١٢٢.

٧) انظر ايضا:
- لوتسكي، صفحة ٣١٦ - ٣٢٠.

٨) انظر ايضا:
- خلف، فاضل، ١٩٨٠: ١٠٨.

٩) انظر ايضا:
- رشدي، عمر، ١٩٦٥: ١٧٥.
- عبده وقاسميه، ١٩٧١: ٢٠٣ - ٢١٠.

١٠) لمزيد من المعلومات عن وضع اليهود الاجتماعي، انظر: Lawrence Rossen, 1970p 379-399

١١) انظر ايضا:
- عبده وقاسمية، ١٩٧١: ٢٠٣ - ٢١٠.
- العقاد، صلاح، ١٩٧٢: ٤١.

١٢) انظر ايضا:

- العقاد، صلاح، ١٩٧٢: ٥٤/٥٥.
- Lawrence Rosen, 1970: 401

١٣) انظر ايضا:
- سعد الله، ابو القاسم، صفحة ١٨٣.

١٤) انظر ايضا:
- سعيدوني، ناصر الدين ١٩٨٠: ١٨/١٩.

١٥) انظر ايضا:
- محارب، عبد الحفيظ، ١٩٧٢: ٥٦ - ٥٨.

١٦) انظر ايضا:
- صرفاتي، ابراهيم، ١٩٧١.

المراجع العربية

- ابو بكر، توفيق، **الصهيونية واسرائيل والحقائق من هرتسل الى رابين**، ط١، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت: ١٩٧٧.
- بن اسماعيل، محمد العربي، «دور يهوذا بن دران في ديبلوماسية الامير عبد القادر»، **المجلة التاريخية المغربية، عدد ١٧ يناير ١٩٨٠.**
- توللي، الآنسة، ترجمة عبد الجليل الطاهر، عشرة ايام في طرابلس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي: ١٩٦٧.
- التيمومي الهادي، **الحركة الصهيونية في تونس في الفترة بين ١٩١١ و١٩٢٧** اتحاد المؤرخين العرب، بغداد: ١٩٧٤.
- **جريدة «العلم» المغربية**، الرباط: ١٩٧٦/٦/٢٠.
- **جريدة «الانباء» المغربية**، الرباط: ١٩٧٦/٧/٢٢.
- الجزائري، الامير محمد بن عبد القادر، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر** جزء ١و٢ الطبعة الثانية، الجزائر: ١٩٦٤م.
- جوليان، شارل اندرى، مترجم، **افريقيا الشمالية تسير**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: ١٩٧٦.
- الحداد، الطاهر، **العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية**، الدار

التونسية للنشر، تونس: د.ت.
- خطاب، محمود شيت، **قادة فتح المغرب العربي** - الجزء الاول - بيروت: دار الفتح للطباعة والنشر: ١٩٦٦.
- خلف، فاضل، «عبد الحميد بن باديس» **مجلة العربي**، الكويت: يونيو ١٩٨٠.
- الدجاني، احمد صدقي، **وثائق تاريخ ليبيا الحديث - الوثائق العثمانية ١٨٨١ - ١٩١١**، جمع وترجمة الحاج عبد السلام، منشورات جامعة بنغازي - ليبيا، بيروت: ١٩٧٤.
- رشدي، عمر، **الصهيونية وربيبتها اسرائيل**، ط٢ القاهرة: ١٩٦٥.
- سعد الله، ابو القاسم، **ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، الجزائر: ١٩٧٨.
- سعودي، محمد عبد الغني، **الوطن العربي**، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٧م.
- سوسه، أحمد، **العرب واليهود في التاريخ**، دمشق ط٤: ١٩٧٥.
- سعيدوني، ناصر الدين، «يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية» بحث مقدم الى **المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) عمان في ١٩ - ٢٤ نيسان ١٩٨٠.**
- **الشرقاوي والصياد، محمد عبد المنعم ومحمد محمود، ملامح المغرب العربي** الاسكندرية ط١: ١٩٥٩.
- **الشهاب، مجلة**، جزء ١٠ مجلد ١٠ الجزائر: ١١ ديسمبر ١٩٤٣.
- الشيخ، رأفت غنيمي، **تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة**، بنغازي: ١٩٧٢.
- صرفاتي، ابراهيم، رسالة المغرب: «اليهود المغاربة واسرائيل» **مجلة شئون فلسطين - عدد ٣ بيروت: يوليو ١٩٧١.**
- عبده، وقاسميه، علي ابراهيم وخيرية، **يهود البلاد العربية**، مركز الابحاث الفلسطيني، بيروت: ١٩٧١.
- عز الدين، نجلاء، ترجمة محمد عوض ابراهيم ومحمد يوسف نجم ومحمد دويك

وبرهان الدجاني، **العالم العربي**، بيروت: ١٩٥٣ .
- العقاد، صلاح، **المغرب العربي**، القاهرة: ١٩٦٩ .
- لاديكين، ف.ب، ترجمة هاشم حمادي، **مصدر الازمة الخطيرة**، دمشق ١٩٧٥ .
- لاندو، روم، ترجمة نقولا زيادة، **تاريخ المغرب في القرن العشرين، بيروت:** ١٩٦٣ .
- لوتسكي، ترجمة عفيفة البستاني، **تاريخ الاقطار العربية الحديث**، أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي. معهد الاستشراق، موسكو: د.ت .
- مجموعة من التقدميين المغاربة، **الصراع الطبقي في المغرب**، دار ابن خلدون، بيروت: ١٩٧٣ .
- محارب، عبد الحفيظ، « الهجرة الى اسرائيل - مشاكلها وكيفية التصدي لها » **مجلة شؤون فلسطينية عدد ١٠ بيروت: يونيو ١٩٧٢ .**
- محمود، أمين عبد الله، « مشاريع الاستيطان اليهودي - البدائل الأخرى ١٨٩١ - ١٩٨٧ »، **مجلة كلية الآداب والتربية - جامعة الكويت - العدد ١٤ الكويت: ديسمبر ١٩٧٨ .**
- ناجي ونوري، محمد ومحمد، **طرابلس الغرب**، ترجمه عن التركية اكمل الدين محمد احسان، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا: ١٩٧٣ .
- وكالة الانباء الكويتية (كونا)، **جريدة الوطن - الكويت: ١٦ مايو ١٩٨٠ .**

المراجع الاجنبية:

- Rosen, Lawrence. A Moroocan Jewish *Community During the Middle East Crisis, Peoples and Cultures of the Middle East.* Edited by Louise E. Sweet New York: 1970.
- Tessler, Mark A. and Hawkins, Linda L. *The Political Culture of Jews in Tunisia and Morocco, Int.* J.Middle East Stud. 11,1980. U.S.A.